

العرب و بعض بلاد الهند ، من العلماء من اهل اصطخر فى ( ايران ) قام بسياحة طاف بها بلاد العرب و بعض بلاد الهند وبلغ الاقيانوس الاتلانتيكى من كتبه ( مسالك الممالك ، صور الأقاليم ) ونقل عنه ياقوت فى معجم البلدان . انظر ترجمته فى : دائرة المعارف الاسلامية ٢٥٦/٢ ، دائرة البستانى ٣/٧٤٤ ، هدية العارفين ٦/١

٣ ابن الاثير (٥٥٥-٦٣٠هـ = ١١٦٠-١٢٣٣ م) . على بن محمد بن عبدالكريم الشيبانى الجزرى ، المؤرخ الامام العالم بالأدب ، عاش فى الموصل من تصانيفه ، الكامل فى التاريخ بلغ فيه حتى سنة ٦٢٩ هـ ، أسد الغابة ، اللباب ، الجامع الكبير فى البلاغة وهو آخر ابن الاثير المحدث الأصولى . انظر ترجمته فى وفيات الاعيان ٣٤٧/١ ، مفتاح السعادة ١/٢٠١٦ ، طبقات السبكي ١٢٧/٥٨ ، وابن الشحنة : حوادث سنة ٦٣٠ هـ

٤ ابن جرير الطبرى (٢٢٤-٣١٠هـ = ٨٣٩-٩٢٣ م) . محمد بن جرير الطبرى - ابو جعفر : المؤرخ المفسر ، الامام ، ولد فى أمل طبرستان واستوطن بغداد و توفى بها عرض عليه القضاء فامتنع ، والمظالم فأبى : له تاريخ الطبرى ، جامع البيان فى تفسير القرآن ، اختلاف الفقهاء و غيرها وهو من ثقات المؤرخين قال عنه ابن الاثير : أبو جعفر اوثق من نقل التاريخ . وكان مجتهداً لا يقلد احداً . انظر المزيد عنه فى تذكرة الحفاظ ١/٣٥١ ، الوفيات ١/٤٥٦ ، طبقات السبكي ١٣٥/٢ ، البداية والنهاية ١١/١٤٥ وسير اعلام النبلاء ، وابن الشحنة : حوادث سنة ٣١٠ هـ . ولسان الميزان ٥/١٠٠ ، تاريخ بغداد ٢/١٦٢

٥ ابو دلف الينبوعى (٥٠٠-٣٩٠هـ = ١٠٠٠-١٠٠٠ م) مسعر بن مهلهل الخزرجى الينبوعى ، ابودلف ، شاعر ، رحالة ، كان يتردد على الصاحب بن عباد له رسالة فى أخبار رحلته إلى ايران الغربية والشمالية ، وارمينية ، كانت مخطوطتها فى مكتبة (مشهد) ثم نشرت فى القاهرة فى عام ١٩٥٢ ثم فى موسكو عام ١٩٦٠ . انظر ترجمته فى يتيمة ٣/١٧٤ وانظر دائرة معارف البستانى ٤/٢٩٥ ، وقد شرح الثعالبى فى اليتيمة قصيدته الساسانية الشهيرة انظها فى موضعها المشار اليه إن أردت.



إبريق وجد فى إقليم أذربيجان، مع النقوش العربية. القرن التاسع عشر. المتحف الوطني للتاريخ الأذربيجاني.

١ المسعودى (٣٤٦-٥٠٠هـ = ٩٥٧ - ١٠٠٠ م) - هيردوت العرب - على بن الحسين بن على ، أبو الحسن المسعودى ، من ذرية عبدالله بن المسعود ، مؤرخ ، رحالة ، باحث من أهل بغداد ، اقام بمصر وتوفى بها . من تصانيفه ( مروج الذهب ، اخبار الزمان ، تاريخ فى نحو ثلاثين مجلداً ، التنبيه والاشراف ، الرسائل ، الاستنكار بما مر فى سالف الاعصار ، مقالات فى أصول الديانات .. وغيرها ) أنظر ترجمة اضافية له فى : فوات الوفيات ٢/٤٥ ، لسان الميزان ٤/٢٤٤ طبقات الشافعية ٢/٣٠٧ ، النجوم الزاهرة ٣/٣١٥ ، ويسمونه فى الغرب هيردوت العرب - اطلقه عليه المستشرق "كريم" .

٢ الاصطخرى : ( ... - ٣٤٦هـ = ١٩٥٧-١٠٠٠ م ) إبراهيم بن محمد الفارسى ، ابو اسحق الاصطخرى ، جغرافى ، رحالة ، من العلماء من اهل اصطخر فى ( ايران ) قام بسياحة طاف بها بلاد



الزردشتية في أذربيجان وبيعت إلى البلاد ثلاثمئة من المجوس لنشر طقوسها فيها. وفي الوقت نفسه كانت الاعتقادات التقليدية القديمة مثل عبادة الاصنام لا تزال حية في قلوب الناس.

كانت الثقافة حينئذ كالسلة ينفرد بها الخاصة من الناس دون العامة يأخذونها ويعطونها ويرسلونها. الساسانيون احيانا والروم والبيزنطيون احيانا أخرى مع قادة جيوشهم إلى أذربيجان بعد غزوها ولهذا السبب كانت المراكز السياسية هي المراكز الحضارية أيضا ونرى المدن الأذربيجانية مثل "شيز" و "القبلة" و "بردع" و "بيلقان" وغيرها من المراكز تتميز عن سائر المدن بأسواقها ومعابدها وكنائسها ومنازلها. ويكتب أبودلف ٥ مؤرخ القرن العاشر الميلادي عن معبد النار في (شيز) ويقول: إن من معجزاته نيرانه اللمتهبة المشتعلة منذ ٧٠٠ سنة على التوالي دون أن تخمد. ومن آثارها المكشوفة أثناء الحفريات، الأواني والمصابيح وزجاج النوافذ وأقمشة الثياب التي تدل على مستوى الحياة الثقافية فيها.

وفي قصيدة (كسرى وشيرين) للشاعر الأذربيجاني الشهير نظامي الكانجوي المتوفى سنة ١٢٠٩م، نرى مدينة (بردع) بحدائقها وأسواقها وقصورها وحماماتها وفنانيها وحرفييها ومجالسها الأدبية.

ونقدها، ثم الإستنتاج منها.

نبذة تاريخية:

تقع أذربيجان فيما وراء القوقاز على أرض تحيط بها كل من إيران وتركيا وروسيا وارمينيا وتطل عاصمتها، "باكو" على بحر قزوين، عرفت منذ القديم بأرض النيران لكثرة منابع الغاز الطبيعي والنفط فيها وسميت بـ "اتروباتينا" أحيانا بـ "أذربيدقان" أحيانا أخرى وسمها العرب بعد فتحها بـ "أذربيجان" وهي معروفة منذ ذلك الوقت بهذا الاسم. وضربتها الزلازل الأرضية وهزتها الهجمات العدوانية، وعبثت بها المذاهب الفكرية، وبسبب موقعها الجغرافي عايش الصراع العنيف بين الفرس والروم البيزنطيين.

تأثرت أذربيجان بالفرس والبيزنطيين، فدخلت في سيادة هؤلاء مرة وأولئك مرة أخرى، فتأثرت بحضاراتهم ولكنها تمكنت من الحفاظ على خصائصها الحضارية القومية رغم تنافس الدولتين في نشر قيمها الحضارية في أراضيها إذ كانت بيزنطة تعمل على نشر المسيحية في أذربيجان، وتبحث النسطورية عن طرق تمكثها من توسيع دائرة نفوذها في المنطقة حينما يبذل كسرى الساساني يزدجرد الثاني جهودا من أجل القضاء على مظاهر المسيحية فيها وادخال

التأثير والتأثر من حيث وجهة النظر إلى العالم ويحدث نتيجة ذلك التفاعل والتطور الثقافي في اشمع معانيه.

إن المبدأ الفكرى الذى ننطلق منه هو انه يجب النظر إلى الثقافة الأذربيجانية بوصفها حصاد التقاء التأثيرات الحضارية المختلفة وتمازجها مع كونها ثقافة إسلامية من حيث الجوهر وسوف نلتقى حين دراستها بالإسلام علأنه المثل الأعلى والجوهر ، ثم بالتقاليد الأذربيجانية التركية الأصلية القديمة وبتأثيرات الحضارات اليونانية والبيزنطية والفارسية بالإضافة إلى العناصر العربية التى قامت نتيجة امتزج الإسلام والتقاليد القومية للعرب كلما تطورت هذه الثقافة تأثرت بالتأثيرات المختلفة حسب الظروف . وفى الثقافة الأذربيجانية المعاصرة نرى تأثيرات أوربية نتيجة وقوع البلاد فى اطار النظام الحضارى الروسى خلال فترة تزيد عن منتى سنة.

هذا وتمكننا هذه المقدمة أن نبني بحثنا على أساس منهجى ذى أهمية بالغة و هذا يعود إلى اعتقدنا ، خلافا لبعض الآراء المطروحة هنا وهناك ، بأنه بالرغم من التفرق والتشتت الساندين سياسيا ومذهبيا بين البلدان الإسلامية المتكونة من الاجناس المختلفة عربية كانت أم تركية أم فارسية أم غيرها من البشر يشاهد اليوم ترابط حضارى محسوس بينها مثله مثلما كان فى عهد ازدهار الحضارة الإسلامية ، والقوة المحركة و المعززة لهذا الترابط هى الإسلام بكونه المثل الأعلى وشعور الانتساب إلى هذا الدين وقيمة الحضارية التى ينطلق الإنسان المسلم أينما كان منها. ان هذا الشعور لايزال حيا فى القلوب والاذهان فى أيامنا المعاصرة بالرغم من أن تباين المنافع القومية سياسية كانت أ/ اقتصادية واعطاءها الأولوية بالمقارنة مع المصلحة الإسلامية العامة و اختلاف المواقع فى مسألة وضع النظريات الايدولوجية الرسمية للدول الإسلامية تعطى للاختلافات القائمة طابعاً مزمناً.

لا غنى للباحث إذا ما أراد أن يبحث موضوع خصائص التطور الثقافى فى بلد ما أو فى مرحلة تاريخية معينة عن ان يجد السبيل للنفاذ إلى صميم البيئة التى نشأت فيها هذه الثقافة والأحداث التاريخية التى سبقت لهذا التطور الثقافى وجاءت من الدوافع إليه وأن يقوم بتحليلها



**طبق وجد فى أراضي أذربيجان، مع النقوش العربية. القرن الثاني عشر. المتحف الوطني للتاريخ الأذربيجاني.**

أن تكون وجهة النظر هذه قادرة على تبرير و تصديق نفسها من خلال الحوار الحر مع وجهات النظر المعاكسة و تتحول الى نظام شامل وكامل من المبادئ و القيم والاعتقادات التى تعين وتحدد اتجاه نشاط الفرد و موقفه من الواقع . إذ نرى تعاليم المفكرين المسلمين فى الجمال موجهة نحو معرفة الله – الخالق المصور الذى خلق الناس ثم صورهم وسواهم فعدلهم فى أى صورة ماشاء. ولا توجد هذه الصورة الا كوسيلة لمعرفة العقل الالهى.

وثانى هذه العوامل هو وجود المدن ، لأن وجهة النظر لا تنشأ ولا تطور إلا فى المدن . حيث لا توجد الحرف والتجارة وحيث لا توجد الحرف والتجارة لا يصح الحديث عن التطور الثقافى فيها. يتطلب التطور الثقافى وجود المدن المركزية التميزه عن سائر المدن بعلاقتها الاقتصادية والسياسية والثقافية المتطورة. والتركيب القومى أو المذهبى لأهل هذه المدن يجب أن يكون مختلفاً من حيث الجنس والاعتقادات الأمر الذى يؤدى إلى التسامح بين الاجناس والاديان المختلفة وإلى الحوار الحر بينها.

ويجب أن تكون لهذه المدن علاقات واسعة ، تجارية وثقافية وأخرى ، مع سائر المدن والعلاقات مع العالم الخارجى لا تبقى بدون

## بنار داغ - وهو المكان الذي يشعل النار لا يطفأ اليوم

على الأصول الإسلامية .  
ومن هنا يمكننا القول بأن الإسلام لا يضره تداعي الواقع الإسلامي  
أيا كان قصد هذا النقد . ان الإسلام كمثل أعلى برئ من كل نقد .  
كما علينا ثانياً أن نقرر أن تصور أنه من الممكن الكشف عن  
أصول أية ثقافة من خلال التنقيب و التدقيق في مصدر واحد هو  
تصور غير صحيح محدود لا يمكن أن يُكون مبدأً سليماً لبحث علمي  
حقيقي في موضوع الإسلام و الثقافة الذي نحن في صده . وفي نفس  
الوقت لا يصح النظر الى الثقافة نظراً مجرداً من الظروف التاريخية  
الملموسة .

وعلينا ثالثاً أن نحدد منذ البداية موقفنا من مسألة : تحديد العوامل  
التي تولد ازدهار الحياة الثقافية و نهضتها ، أوبالاحرى ماهي دلالات  
التطور الثقافي في المجتمع أياً كان ؟  
ان اول هذه العوامل هو وجود وجهة نظر منفتحة على العالم ان  
المجتمعات كثيراً ماتختلف بعضها عن البعض بوجهة نظرها الى  
العالم . اذ كان تفكير الناس يقوم في المجتمع الجاهلي على الشرك  
حينما يقوم في المجتمع العربي الإسلامي على التوحيد . لكن مجرد  
وجود وجهة نظر الى العالم لا تكفي لازدهار الحياة الثقافية ، بل يجب

كما يجب معرفة موقفنا منها لأن ذلك يسهل شرح ما نحن فيه .  
يجب أولاً على كل باحث يقصد الى تحليل موضوع الإسلام و  
الثقافة ان يضع في اعتباره ان الإسلام مثل أعلى ، لا مذهب علمي  
كلامي أو أدبي أو جمالي أو فلسفي ذهب ولا يزال يذهب اليه كثير من  
العلماء والمفكرين عبر القرون الطويلة والى يومنا هذا لا يصح اذا  
المقارنة او المساواة باعتباره مثلاً أعلى وبين نتائج المثقفين والمفكرين  
الذين انطلقوا في تفكيرهم من منطلق هذا المثل والذين جاءت  
ممارساتهم الثقافية خلال مئات السنين . حصاد التأثيرات الثقافية  
المختلفة . ان الإسلام هو ما تسعى إليه هذه الانظمة و المذاهب كلها  
قاصدة إلى ربط نفسها به رغم محتواها واتجاهاتها وليس من الانصاف  
العلمي الخلط أو المزج بين الإسلام أو يتجسم بشكل أو آخر .

ان الإسلام كمثل أعلى يبقى هو الإسلام بالرغم من توافق أو عدم  
توافق الواقع مع مبادئه . لا يتأثر الإسلام بهذا الواقع على الرغم من  
ان هذا الواقع يشكل و يبنى نفسه على أصل من أصول الإسلام لكي  
يوافقه . ان الإسلام هو الإسلام الواحد منذ أن كان في مهده الى أن  
خرج الى جميع الأراضي الإسلامية و الثقافات التي نشأت في ظلها في  
كل هذه الأراضي مع اختلافها بعضها عن البعض في بعض  
خصائصها القومية هي ثقافات اسلامية من حيث الجوهر بسبب نشأتها

# الإسلام والثقافة الأذربيجانية الخصائص الرئيسية للتطور الثقافي في أذربيجان قديماً وحديثاً

معلومات قيمة عن إقليم أذربيجان وانهاره ومدنه والأحداث التي جرت فيه .

ومن كتب الجغرافيا كتاب ابى اسحاق إبراهيم بن محمد الاضطرى ٢ (مسالك الممالك) . ومن كتب التاريخ كتاب ابن الاثير ٣ (الكامل فى التاريخ) ، وكتاب الطبرى ٤ ( تاريخ الرسل والملوك ) ، ومقدمة ابن خلدون . وهذا بالإضافة إلى بعض المصادر الحديثة التي أصبحت بمثابة أدوات العمل التي لا غنى عنها من ذلك كتاب الدكتور ضياء بنياطوف ( أذربيجان فى الفترة من القرن السابع إلى القرن التاسع ) ، وكتاب الدكتور ذاكر محمودوف (تاريخ الفلسفة الأذربيجانية) ، واستفدنا فى ذلك البحث من عدة كتب للمؤلفين العرب المعاصرين و المستشرقين الأوربيين .

إن القصد الذى نرمى إليه فى هذا البحث هو ان نقدم صورة أولية دون المفهوم الواسع لمنهج يسمح بالنظر العام إلى قضية دور الإسلام بعد انتشاره واستقراره فى أذربيجان منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب من التطور الثقافى وتأثيره على طبيعة هذا التطور ومحتواه وكذلك تحديد الخصائص الرئيسية للحركة الثقافية فى المنطقة .

لكننا قبل ان ندخل فى موضوعنا يتعين علينا الإشارة إلى بعض الجوانب الهامة المرتبطة بمنهج الدراسات الإسلامية فى مجال الثقافة

يعد موضوع الأسلام والثقافة الأذربيجانية من الموضوعات التي لم تأخذ حقها من عناية العلماء واهتمام الباحثين لأسباب سياسية وأيدولوجية فرضت نفسها على العلوم الاجتماعية وخاصة الدراسات الإسلامية فى أذربيجان وعموم الاتحاد السوفيتي السابق خلال فترة تاريخية تزيد عن سبعين سنة قبل ان تستقل أذربيجان عام ١٩٩١ م ، ولعل هذا النقص الفاضح هو من أهم الدوافع التي جعلتنا نهتم بمثل هذا الموضوع بالإضافة إلى أننا ننتقل فى ابحاثنا من أن موقفنا من ماضينا هو أحد مظاهر موقفنا العقلى أو موقفنا الكيانى العام . وأننا ندرس ماضينا لكى نفهم كيف تُشكّل وتكون منه حاضرننا إذ أننا من خلال معرفتنا عهود التاريخ المختلفة نرى تاريخنا فى شكل وحدة متكاملة و نفهم و ندرك مكاننا فى الحركة التاريخية العالمية .

والعمل المتواضع الذى قمنا به فى اماطة اللثام عن الخصائص الرئيسية للتطور الثقافى فى أذربيجان يعدو أن يكون محاولة إعتمدنا فيه ما أمكن جمعه من المعلومات المشتتة هنا وهناك . و من بينالمصادر التي اعتمدنا عليها مراجع قديمة للمؤرخين و الجغرافيين العرب الذين يعدون من أهل العصور التي نتحدث عنها ، والجغرافيين العرب الذين يعدون من أهل العصور التي نتحدث عنها ، فالمسعودى امثلا أذربيجان ويحتوى كتابه ” مروج الذهب ومعادن الجوهر ” على